

إلى أصول غيبية ، فحيث ينعدم التفكير العلمى ويقصر المنطق يتقدم التفسير الغيبى لما هو ليس بمعقول ، لكى يقوى به عزم الأتباع ، وتوصل بواسطته الرغبة والإرادة فى إنشاء وطن قومى . ولسنا نجد شبيهاً لذلك إلا فى الحركة الفاشية أو النازية ، عندما تستند على دعوى بالتفوق العنصرى ، أو بالاختيار من لدن الله ، أو بحمل أعباء رسالة تنفرد بها عن بقية شعوب العالم .

\* \* \*

### فلماذا سُمى اليهود بالساميين !

السامية نسبة إلى سام . وسام كما تدعى التوراة هو الابن الأكبر لنوح ، وكان سام أول إنسان يباركه الله بعد طرد آدم من الجنة . وتدعى التوراة أن الله اختاره نون إخوته لهذه البركة ، وكانت هذه القرية أول قرية عنصرية ، وتروى لها التوراة قصة وأى قصة !

تروى أن نوحاً كان له ثلاثة أولاد ، هم سام وحام ويافت ، فلما انتهى الطوفان واستقر نوح على اليابسة « ابتدأ فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام ، أبو كنعان ، عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما . فلما

استيقظ نوح من الخمر علم ما فعل به ابنه الصغير ، فقال ملعون  
كنعان ، عبد العبيد يكون لإخوته . وقال مبارك الرب إله سام ، وليكن  
كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافت فيسكن فى مساكن سام ، وليكن  
كنعان عبداً لهم « ( سفر التكوين ص ١٥ ) .

ويتحدث سفر التكوين عن الكنعانيين وهو بمعرض التحدث عن  
أصل العالم ، مع أن الكنعانيين لم يكونوا قد ظهوروا فى التاريخ بعد ،  
ولكن ما العمل والتوراة كتبها الحاخامات بعد ألف سنة من زمن  
موسى ، وفى خلال هذه الألف سنة عرف اليهود المعارك والحروب مع  
الكنعانيين فكرهوهم ولم يجدوا بأساً أن ينفثوا عن كراهيتهم  
للكنعانيين منذ أول الخليقة ، وأن يستعلوا عليهم ، ناسبين هذا  
الاستعلاء لله عز وجل ولنوح عليه السلام ! ويدعى اليهود أن الأمم  
جميعها خرجت من حام ويافت . أى خلط علمى !! وأن اليهود من نسل  
سام ، ومن هنا جاءت تسميتهم بالساميين ، وجاء تسمية العداء لهم  
بالعداء للسامية .

وتزعم التوراة أن سام بن نوح أنجب من الأحفاد يقطان ، وأن  
يقطان أبو العرب ، وأنجب إبرام أو إبراهيم ، وأن إبراهيم أنجب  
إسماعيل ثم إسحق ، وأن الله افتدى إسحق بكبش سمين ، أى أنها  
تزعّم أن الغداء كان لإسحق الأصغر ، لأن أم إسحق كانت عبرانية لكن  
أم إسماعيل كانت من الأمم . وتقع التوراة فى التناقض ، فهى إذ

تدعى أن الله قال لإبراهيم اذهب من أرضك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأبارك وأعظم اسمك ، وتكون بركة وأبارك مباركك ، ولاعنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ( سفر التكوين ص ٢٣ ) ، مع ذلك تعود وتقتصر البركة على بنى إسرائيل لا غير ، دون العرب أبناء إسماعيل الذين قُصِدوا بالبركة وبالْبشارة بأنهم أمة عظيمة !!

وينجب إسحق يعقوب ، وتدعى التوراة أن الله يخاطبه فيقول « إسمك يعقوب ، ولا يُدعى أسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل ، فدعى اسمه إسرائيل » ( سفر التكوين ص ٥٨ ) .

وإسرائيل إسم أعجمى عبرى مركب من كلمتين إسرئى بمعنى عبد ، ونيل بمعنى الله ، فتكون ترجمته عبد الله . ومن هنا يأتى اسمهم بالإسرائيليين أى أبناء إسرائيل ، وتدعى التوراة أن إسرائيل أنجب اثنتى عشر سبطا ، وأن يشوع بن نون قسّم الأرض عليهم ، وكان منهم من يدعى يهودا ، ومن أسباطه خرج من أقام مملكة يهودا التى سيطرت على كل شعب إسرائيل ، ومن ثم أصبح سكانها يُدعون اليهود ، مثلما يسمى سكان مصر بالمصريين . وهذا هو أصل تسميتهم باليهود

\* \* \*

أما إسمهم العبرانيون ، فهو من فعل عَبَّر العبرى والعربى .  
ويدعى سفر يشوع « أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا  
موسى عبدى قد مات ، فالآن قم " اهبر " هذا الأردن ، أنت وكل هذا  
الشعب ، إلى الأرض التى أنا معطيها لهم ... وقال لهم يشوع "  
اهبروا " أمام تابوت الرب . لكى تكون هذه علامة فى وسطكم ، إذا  
سأل غداً بنوكم مالكم وهذه الحجارة ، تقولون لهم إن مياه الأردن قد  
انفلقت أمام تابوت عهد الرب عند " هبور " الأردن ... على اليابسة  
عبر إسرائيل هذا الأردن ، لأن الرب إلهكم قد يبس مياه الأردن من  
أمامكم ، حتى " هبورم " ، كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذى  
يبسه من أمامنا حتى " هبونا " ( سفر يشوع الإصحاح الرابع  
ص ٣٤٢ ) .

فالأصل اللغوى للعبرانيين فعل " هبر " ، وهو فى اللغة العربية  
كما فى اللغة العبرية . والعبرية لغة العبرانيين ، وهذا هو العبور  
آية اليهود التى تميزهم على الأمم ، فالرب فى زعمهم قد أمكنهم من  
العبور مرتين ، فى مصر عبر بحر سوف ، وفى الأردن عبر نهره ،  
ويقال إن هناك مرة ثالثة فى العراق حيث عبره إبراهيم إلى  
فلسطين .

ويرى مارتن بوبر<sup>(١)</sup> ، الفيلسوف اليهودى ، أن الأصل اللغوى لكلمة " عبرانى " هو كلمة عابيرو habiru التى صارت فيما بعد hebrew ، وهابيرو أو عابيرو معناها الشخص الرحالة المتجول غير المستقر . وقبائل إسرائيل كانت قبائل رحالة ، وكان إبراهيم دائم التنقل ، وكذلك إسحق ويعقوب ، وقد ارتحل يعقوب وبنوه إلى مصر . ويرى بوبر أن الارتحال يخلق المقاتل ، وأن الإسرائيليين كانوا مقاتلين ، ويضرب المثل بسفر التثنية حيث يقول الرب ، كما تزعم التوراة ، « أنتم أولاد الرب إلهكم ، لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، وقد اختارك الرب كى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » ( الإصحاح الرابع عشر ) !!

هل هذا معقول ؟ أنا لا أصدق ما أقرأ ، ولا أصدق أن هذا البوبر العنصرى الغيبى المستشهد بكلام حبر كاهن ، حاول أن يكون من

(١) مارتن بوبر فيلسوف يهودى ولد وعاش فى ألمانيا ، ثم فر أمام النازى إلى بريطانيا ، فالولايات المتحدة واستقر أخيراً فى إسرائيل يدرّس فى الجامعة العبرية بالقدس ، وهو من المؤسسين للحركة الصهيونية ، وكان من أنصار وايزمن ضد هرتزل ، ومات فى إسرائيل سنة ١٩٦٥ ويشتهر بوبر بكتاباتة فى التربية اليهودية ، وحاولت دور النشر جعله من المفكرين الوجوديين المحدثين لأنه القائل أن وجود الأنا يستتبع وجود الأنت ، فإذا اعترف الأنا بالأنت قام بين الاثنى حوار هو روح الديمقراطية دليل المساواة . ( الحفنى ) .

كبار المفكرين والفلاسفة وأن يتبوأ مكاناً في الفكر الإنساني المعاصر  
إلى جانب سارتر ومايدجر وكيركجورد !!!

\* \* \*

إننا ننحني احتراماً لأسماء كبيرة في الأدب والفلسفة ، لأن  
أصحابها قدّموا بعقولهم طريقاً لهم في جبال الفكر وكانت لهم نظرات  
وأفكار . هؤلاء الناس يصيرون مرجعيين ، أى أننا نرجع إليهم  
ونستشهد بأقوالهم . لكن ماذا لو كان الواحد من هؤلاء مخطئاً ؟ ماذا  
لو كان هو نفسه ضحية الدعاية ؟ لا أدري ، وإنما يجب ونحن نقرأ أن  
نحاذر ، وأن نعرف أولاً لمن نقرأ ، ونلم بأطراف حياة الكاتب ، ونعرف  
شيئاً عن دار النشر التي تنشر له ... أقول إن هذا ضرورى دائماً .

**وويل ديورانت** <sup>(١)</sup> من هؤلاء المرجعيين . وهو فليسوف ومؤرخ  
فلسفة ، كتب تاريخ الحضارة في سبعة مجلدات ، وأفرد لليهود  
جزماً لا يتناسب مع إسهامهم الحضارى ، لأن ما يكتب عن شعب  
بالمقارنة لما يكتب عن شعب آخر ينبغى أن يتناسب مع إسهام الشعبين

---

(١) وويل ديورانت : ولد عام ١٨٨٥ من أبوين كنديين ، وتلقى العلم في أمريكا ،  
وعاش بها ، ودرس على يد مورجان وديوى وحصل على الدكتوراه عام  
١٩١٧ واشتغل بالتدريس وطاف العالم وكتب قصة الفلسفة ، وقصة  
الحضارة . ( الحفنى ) .

فى الحضارة . فهل من المعقول أن يكون إسهام اليهود أكبر من إسهام العرب ؟ شئ غريب هذا الذى أقرأه فى موسوعته ، والأغرب أنه يستشهد بمراجع أصحابها يهود ، كأنه يروى حكاية ويستشهد بأن قائلها فلان ، لكن بمن يستشهد قائلها ؟ مع ذلك فديورانت تُرجم إلى العربية ، وأشرفت جامعة الدول العربية على ترجمته ، ولم ينبر المترجم للرد على ديورانت !

ويتساءل ديورانت : لماذا العداة بين اليهود والشعوب ؟

ويقول « إن المصادر الرئيسية للعداء كانت دائماً مصادر اقتصادية <sup>(١)</sup> ، ولكن الخلافات الدينية بين اليهود وغير اليهود زادت حدة الخلافات الاقتصادية ، وجعلتها مجرد غطاء لها ، والمسلمون لم يكرهوا اليهود فى يثرب إلا عندما شككوا فى نبوة محمد ، والمسيحيون يرددون كل أحد قصة صلب اليهود للمسيح وهم منهم » .

وتقول التوراة : إن العداة لليهود كان فى مصر القديمة لأن اليهود كانوا أعظم من المصريين . « هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . لهم نحتال لهم لثلا ينمو ، فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون فى الأرض » ( سفر الخروج الإصحاح الأول ) .

قول غريب عزيزى القارئ ! فالتاريخ المصرى لم يعرف اليهود كشعب

Vol 4 : The Age of Faith, P. 385 .

(١)

أعظم وأكثر من المصريين ، وإنما عرفهم المصريون عبيداً أرقاء ، وتحديثنا لوحة « مرتباح » أن المصريين قضوا على الإسرائيليين . هذا هو كل ما ورد عن الإسرائيليين في الآثار المصرية . ذكّر عابر ولا شئ غير ذلك .

\* \* \*

ويصف القرآن النبي إبراهيم أعظم وصف ، فهو فيه باحث عن الحقيقة بالمصطلح الفلسفي . وهو يبدأ « مفكراً » مادياً وينتهي إلى التجريد . وتنسجم كل القصص عنه في القرآن لتصوغه شخصية متكاملة يطحنها التفكير الديني . ولكن التوراة على عكس تصوير القرآن تجعله رجل نولة ، وتشكل الأنبياء من إسحق ويعقوب ويوسف ، بل وموسى ، كرجال نولة وأبطال قوميين .

وكلمة نبي بالعبرية تعنى شيئاً مختلفاً عما تعنيه الكلمة العربية ، فالنبي بالعربية تعنى الإنسان الكامل ، أو ما نسميه في علم التربية « القدوة » ، ولكن النبي بالعبرية تعنى شخصاً قد تغلب عليه الرذائل ، ولكن فضيلته الوحيدة أنه يقدم لقومه « خدمة » ، فالنبوة عند الإسرائيليين تعنى : الشعور بالقومية والانتماء القومى . هكذا كان داود وسليمان وكل الأنبياء . وهذه الحقيقة عبر عنها هـ . ج . ويلز فقال : إن أنبياء إسرائيل كانوا ساسة وليسوا أنبياء بمعنى أصحاب رسالات وإشارات سماوية لخلاص الإنسان بعامه . وأسفار الأنبياء

أسفار رجال دولة يحتالون لخلاص إسرائيل وإعادة بنائها وبناء الهيكل .

وحول هذه المعنى نفسه اختلف العرب واليهود فى يثرب ، فالمفهوم الإسلامى للنبوة يصطدم بشكل حاد مع المفهوم المادى لها فى اليهودية . وثمة هذا السؤال : لماذا رفض اليهود المسيح ؟ والجواب : لأنه خرج برسالته إلى الغوييم أى عامة الأمم . وفهم شاول الملقب ببولس الرسول هذا القصور فى اليهودية ، فخرج برسالة المسيح إلى الأمم . وجاء محمد ليبشر الأمم كافة . واليهود ترفض الغوييم أو الأمم ، وترفض هذا المعنى للنبوة .

واليهودى بمصطلح التحليل النفسى إنسان متمركز حول ذاته ، يرى أن الله لم يخلق سواه فى الدنيا ، وأنه ملح الأرض ، وأن الله أسلم له الأمم عبيداً ، ولذلك يتهافت منطق مارتن بوير ويتناقض مع التوراة حينما يقول بفلسفة الأنا - والأنت ، فالأنا والأنت لا تعرف تفوق أيهما ، ولكنها علاقة سيكولوجية مستقرة المجال ، أى متعادلة الأقطاب ، الأمر المتناقض مع أقوال التوراة عن اليهودى .

ويصف ديجول اليهود ( خطاب ٢٧ / ١١ / ١٩٦٧ ) فيقول « لقد دللوا على أنهم كانوا دائماً طبقة تريد السيطرة ، وتريد أن تظهر بوصفها الطبقة المختارة . إن إسرائيل تريد التوسع بالحرب » . إذن

هذه فلسفة لا أنا وأنت . هذه فلسفة أنا فقط . فلسفة التمركز حول الذات . فلسفة أنا غير متطور قد توقف نموه وثبت ، فاليهودي فردى صاحب اتجاهات عملية ، وهذه الاتجاهات والميول المادية العملية هي التي يبرزها كارل ماركس في رؤياه عن اليهودي .

ويشتهر اليهود عبر التاريخ بأنهم أهل مكر وخداع ، وتتكرر حكاية وعد بلقور عبر كل تاريخهم ، فيروى أنهم احتالوا على كورش وساعوه على بابل مقابل أن يساعدهم فيعودوا إلى أورشليم ، وتروى التوراة أن كورش أعطى عزرا « خطاب سلطة ، وأعطاه فضة ذهباً تبرع به الملك ومشيره لإله إسرائيل الذي في أورشليم مسكنه » ( سفر عزرا الإصحاح السابع) .

وكان ما حدث بالأمس البعيد بين عزرا وكورش ، هو ما حدث بالأمس القريب بين وايزمن وبلفور ، وبين إينشتين وترومان ؛ فلقد ساعد اليهود الحلفاء على ألمانيا ، فوطن الإنجليز اليهود في فلسطين ؛ وساعد اليهود الأمريكيين على المحور ، فكان ترومان أول المعترفين بدولتهم .

وسرق اليهود أسرار القنبلة الذرية ، محتالين لدخول فلسطين ، وكان أوتوهان Otto Hahn قد توصل إلى شطر الذرة في معهد

القيصر فيلهلم فى برلين ، وكانت ليز ميترز مساعده ، ولم يكن أحد يعرف أنها يهودية وأنها جاسوسة للحلفاء على أهم معامل النازى إطلاقاً ، وفى اليوم الذى توصل فيه هان إلى اكتشافه سرقت مساعده اليهودية ميترز كل أوراقه وفرت إلى السويد ، ثم إلى الولايات المتحدة . ( كتاب ألبرت إينشتين مؤلفه آرثر بيكار من ١٢٠ طبعة Bard ) .

وكان سعى وايزمن للحصول على الوعد المذكور مقابل التجسس على الألمان ، واستحضار أحد المركبات الكيماوية اللازمة للحلفاء ، ومقابل سعى إينشتين ومجموعته للحصول على أسرار الذرة مقابل دعم إسرائيل والاعتراف بها .



ويصك اليهودى مصطلح « المواطن العالمى » ، لأنه لا ينتمى إلى وطن ، ولأنه تاجر ، والتجارة وسيلة عالمية لا تعرف الوطنية ولا الحدود . ولكى يظل اليهودى تاجراً صاغ مصطلح المواطن العالمى ، وليدعم هذا المفهوم امتنن الفلسفة ، وعن طريق التجارة فى وسائل النشر والإعلام نشر مفاهيمه التى تبدو تحريرية ليبرالية ، ولكنها فى الواقع مفاهيم عملية هدفها : دعمه كتاجر ، والتجارة سيطرة اقتصادية : وتقتضى السيطرة على التطورات الاجتماعية والسياسية . وإذن ليس